الخادمات والجنس: دراسة التصورات التي يحملها العرب عن الحياة الجنسية للخادمات المنزليات المقيمات(*)

راي جوريديني(**)

أستاذ مشارك في علم الإجتماع، ومدير مركز الهجرة واللاجئين في الجامعة الأمريكية في القاهرة.

ترجمة: مها بحبوح

مقدمة

ما يزال تاريخ الخدم داخل المنازل في الوطن العربي خلال القرن الماضي، أو خلال الفترة التي تلت إلغاء الرقّ، بانتظار من يكتبه. فالعائلات العربية الثرية، وتلك المنتمية إلى الطبقة الوسطى، كانت دائماً تؤوي خدماً منزليين، كما كانت تحمل ثقافة مشتركة بوجوب وجود فرد لا ينتمي إلى العائلة يؤدي الأعمال المنزلية الدنيا الشاقة. هذا، ولم تتطرق الدراسات المجندرة التي تتناول تقسيم العمل بين الزوج والزوجة إلى دَور الخادمات المنزليات في حياة العائلة العربية التي تنتمي إلى الطبقة الوسطى. وبالنظر إلى مركزية مكانة العائلة في النسيج الاجتماعي للمجتمع اللبناني (Khalaf, 2003)، فإن مما يثير الدهشة أن يجري تجاهل دور الخادمة المنزلية في التحليلات التي تناولت العائلة العربية، في لبنان وفي بلدان عربية أخرى.

تمثِّل هذه الدراسة محاولةَ سبر، أكثر مما تمثِّل تحليلاً منهجياً، للتصوّرات والمدرَكات المتعلقة بالحياة الجنسية للخادمات المنزليات في الأسر العربية، مع الإشارة بصورة خاصة إلى لبنان. الجزء الأكبر من البيانات مأخوذ من عمل ميداني يجري حالياً، ويتناول الخادمات المنزليات الأجنبيات. يشمل البحث التمهيدي بعدَيْن أساسيَّيْن: البعد **الأول**، تكشف مراجعة لأسلوب تصوير الخادمات المنزليات في الأدب العربي وفي الأفلام وفي الخطاب اليومي، عن

(*) النص الإنكليزي لهذا المقال نشر في: Samir Khalaf and John Gagnon, eds., *Sexuality in the Arab World* (London: Saqi Books, 2006), chap. 6, Ray Jureidini, «Sexuality and the Servant: An Exploration of Arab Images of the Sexuality of Domestic Maids Living in the Household».

أودّ توجيه الشكر إلى سمر كنفاني للمساعدة التي قدمتها في الإعداد لهذه الدراسة وللملاحظات التي أبدتها على المسودة الأولى. وأشكر أيضاً إيمان حميدان لما قدمته من اقتراحات معمّقة حول الخادمات في الأدب العربي. المؤلف يتحمل بالطبع مسؤولية أية أخطاء أو تشويش في النصّ.

(**) البريد الإلكتروني: rayj@aucegypt.edu.

تراكيب نمطية تجد طريقها إلى الفضاء العام من خلال وسائل الإعلام المختلفة. البعد **الثاني**، تحليل لمسائل الخوف والتحكّم بالحياة الجنسية وبالممارسات الجنسية، يقوم على أساس المقابلات التي أُجريت في لبنان مع المستخدِمين، ومع أفراد الأسرة الآخرين.

ومع أن التركيز الإمبيريقي (Empirical) يبدأ بعرضِ ملخَصيْ فيلميْن مصريَيْن يتناولان الخادمات، فإن هذيْن الملخصيْن، في اعتقادي، يحملان أفكاراً رئيسية تمثُّلية واسعة الانتشار، عربية (وعالمية، دون أدنى شك). بالإضافة إلى الفيلميْن، هناك تحليل لقصة روائية قصيرة تتحدث عن تحوُّل خادمة لبنانية إلى بطلة في الحرب الأهلية. كما تلجأ دراسة الموضوعات المُثارة إلى الاستفادة من مواد أخرى لها تأثيرها في لبنان المعاصر. فقد أُجريت، مثلاً، مقابلات مع مستخدِمين من الطبقة الوسطى، نوقشت فيها تصوّراتهم وممارساتهم المتعلقة بالحياة الجنسية للخادمات المنزليات.

يمكننا إجمالاً أن نستنتج وجود ثلاثة مفاهيم بشأن الحياة الجنسية للخادمات من منظور المستخدِمين اللبنانيين: المفهوم **الأول** يعتبر الخادمة مخلوقاً لاجنسياً، أي أنه يُنكر، سواء بصورة ضمنية أو بصورة صريحة، وجود حياة جنسية للخادمات. المفهوم **الثاني** يرى في الخادمات مخلوقاً شهوانياً ناشطاً جنسياً. ومن الطبيعي أن يتضمن هذا التصوّر مدلولَيْن متناقضين ومتعارضين: فالحياة الجنسية للخادمة تصبح مشروعة ومتاحة لمن يرغب، كما أن الخادمة قد تتحول، وهو الأهم، إلى مصدر للفوضى والإغواء، وبالتالي إلى خطر يتهدّد أخلاقيات الأسرة واستقرارها. المفهوم **الثالث**، وهو تصور موضوعي، يرى في الخادمة شخصية مستقلة ذات رغبات وحاجات طبيعية ينبغي إشباعها.

وضمن هذا السياق، حاولتُ توضيح ثلاثة أبعاد مترابطة: البعد **الأول**، بعد مراجعة الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية المعروفة حول العائلة العربية، كشفتُ التجاهل المستمر للدراسات المتعلقة بالخادمات المنزليات، وشرحتُ سبب هذا التجاهل. بعبارة أخرى، لماذا لا تتم دراسة هذه المشكلة السائدة بالقدر الذي تستحقه؟ البعد **الثاني**، سوف يتم سبر طبيعة النشاط الجنسي المحظور والمضامين التي يحملها بالنسبة إلى استقرار العائلة المنتمية إلى الطبقة الوسطى. أخيراً، وضمن سياق ما تُطلق عليه غامبورد ((Gamburd, (2000) «القريبات» (Insiders) الهامشيات والغريبات الحميمات، سوف أعرض وأحلّل التباينات في التصوّرات المتعلقة بالحياة الجنسية للخادمات المنزليات، بما في ذلك أشكال الاستغلال الذي يتعرضن له.

أولاً: الخادمة المنزلية باعتبارها مثالاً للكيان الاجتماعي المهمَل

اعتادت الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية للعائلات العربية أن تقصر اهتمامها على العلاقات المجندرة والقرابية (Joseph, 1999). وقد أغفلت تلك الدراسات دور الخادمات المنزليات وتأثيرهن وعملهن، رغم أن مفهوم «القريبات الزائفات» (Fictive Kin) كان ليبدو منظوراً مناسباً بهذا الشأن. فعلى سبيل المثال، أجرت مينتي (Myntti, 1974)، في

سياق أطروحة لنيل درجة الماجستير، دراسة إثنوغرافية لاربع عائلات؛ **إحدى** العائلات كانت تشغِّل لديها خادمة وكبير خدم وطباخاً وسائقاً. العائلة **الثانية** كانت لديها خادمة منزلية مقيمة، العائلة **الثالثة** كانت تستخدم امرأة تأتي إلى المنزل للتنظيف ثلاثة أيام في الأسبوع؛ العائلة **الرابعة** كانت تتردّد عليها الخادمة أيام الآحاد فقط. لكن الأطروحة لا تضم أي شرح يتناول تقسيم العمل بين أفراد العائلة ويأخذ وجود الخادمة بالاعتبار. فلم نعثر على أثر لأسماء الخادمات، ولم تتكون لدينا أدنى فكرة عن شخصيات الخادمات أو عن نوع عملهن، أو عمّن يوجّه هذا العمل أو كيفية التوجيه. وبدا وكأن الأقرباء وحدهم هم العنصر المهم. وعلى نحو مماثل، لا نجد في الدراسة المتميزة التي قام بها خاطر حول الهجرة والنوع (Gender) وعائلات الطبقة الوسطى في لبنان خلال الفترة ١٨٧٠ ــ ١٩٢٠، سوى إشارة وحيدة إلى أربعة آلاف فلاح فقير كانوا، عام ١٨٨٤، يعملون خدماً «في المدن» (Khater, 2001: 61). ولم يجر التطرق إلى الموضوع أكثر من ذلك.

ويبدو أن إغفال طبقة الخدم هو أمر شائع عالمياً. يشير الياس، مثلاً، إلى أنه بالرغم من كشف أدق التفاصيل الحميمة عن الحياة الاجتماعية في القصور الأوروبية، فإنه لا يُعرف سوى القليل عن حياة الخدم: «لا يتحدث أهل البلاط كثيراً عن الخدم الذين يعتنون بهم. ويبدو أن الخدم المنزليين كانوا يعيشون في كواليس المسرح الكبير لحياة البلاط» (Elias, 1983:45)[١].

وتبرز «لامرئية» طبقة الخدم، من منظور النخب الاجتماعية التي يخدمونها، في الملاحظة التي أبداها ضابط الشرطة في الفيلم البوليسي المثير الذي تدور أحداثه في بيت ريفي يعود إلى أحد أفراد الأرستقراطية الإنكليزية (Gosford Park)، من إخراج روبرت ألتمان (Robert Altman). فقد قال الضابط، في معرض تجاهل معرفة الوصيفات والخدم بالتفاصيل الحميمة، رافضاً إشراكهم في الاستجواب: «لا يهمنا الخدم، نحن معنيون فقط بالأشخاص المحيطين بالرجل الميت» ــ أو لاحقاً في الملاحظة التي أبدتها السيدة ويلسون، كبيرة الخادمات: «أنا خادمة مثالية ــ ليست لديّ حياة خاصة بي». ويتبيّن لاحقاً في الفيلم أن السيدة ويلسون سبق أن أُجبرت قبل سنوات على التخلّي عن طفلها الذي أنجبته من سيد المنزل، شأنها شأن العديد من الخادمات. واللافت أن «السيد» الذي أنجب عدة أطفال من الخادمات طوال سنين، يتعرض للّوم بصورة أساسية لأنه أودع الأطفال في ميتم بدل أن يؤمن لهم عائلات محترمة لتتبناهم، كما كان قد وعد. بهذا المعنى، يبدو صمت الخادمات إحدى نتائج صيرورة التمدّن التي تُبعد الجنس إلى عوالم السرية (Elias, 1983: 189).

ولا نجد في الأدب العربي سوى أعمال قليلة تتحدث عن الخادمات، رغم أننا نلحظ حضوراً أكبر لهن في الأفلام السينمائية. في الروايات التي تتواجد فيها الخادمات، نراهن

(١) لكن ميلدروم (Meldrum, 2000) تمكَّن، في دراسة تتناول الخادمات المنزليات في لندن في القرنين السابع عشر والثامن عشر، من كشف قدر لا يستهان به من التفاصيل المتعلقة بالعلاقات الجنسية بين الخادمات وأسيادهن، وذلك على أساس القضايا المعروضة أمام المحكمة الكنسية في لندن.

يُعامَلْن باحترام، شأنهن شأن بنات العائلة، كما هي الحال في خادمة الست أمينة في **ثلاثية** نجيب محفوظ، أو حالة زينب، الخادمة الآتية من عكار (شمال لبنان) في رواية عواد (Awwad, 1976): **موت في بيروت**. وفي رواية هدى بركات، **حارث المياه**، نرى شمسة، الخادمة الكردية الشابة، راوية بارعة للقصص، مفعمة بالحياة والحيوية والذكريات والإغواء (بركات، ٢٠٠١). في المقابل، نجد في إحدى القصص القصيرة، بقلم هيفاء بيطار، تصويراً لمعاناة خادمة سيرلنكية مظلومة «إندو»، تتعرض للضرب وللمعاملة السيئة على يدي «المدام». وتتفنن السيدة بأساليب تعذيب إندو، ووصل بها الأمر إلى حدّ استدعائها في أثناء معاشرتها لزوجها، قائلة لها: «بإمكانك أن تراقبينا إذا شئت، فقد يسهِّل عليك ذلك ممارسة العادة السرية» (بيطار، ٢٠٠٢: ١٩٧).

من المنظور البطريركي، لا يُعتبر قيام ربّ الأسرة بإقامة «علاقات» مع الخادمات في منزله أمراً مثيراً للجدل على نحو خاص. فقد أنجب كارل ماركس (Karl Marx)، مثلاً، طفلاً من خادمة كانت تعمل لديه لمدة طويلة. الفكرة، بالطبع، تعود إلى فترات تاريخية أبعد من ذلك. ففي نصّ يعود إلى القرن الثاني الميلادي، وهو «تفسير الأحلام»، بقلم أرتيمدورس (Artemidorus)، يقول الكاتب إن المواطن إذا رأى في المنام أنه يعاشر خادماته وجواريه، فمعنى ذلك أنه سوف «يحصل على المتعة من ممتلكاته التي ستكثر وتزداد قيمتها» (Foucault, 1986: 19). وإذا رأى السيد نفسه في المنام يعاشر خادماً أو عبداً (سواء أكان ذكراً أم أنثى)، وهو في الموضع الأدنى، فالتفسير هو أن الحلم «إشارة إلى أن الشخص سوف يتعرّض للأذى من هذا الشخص الذي هو دونه منزلة، أو أنه سيعرِّض نفسه للاحتقار من قِبَله» (Foucault, 1986).

وهناك المزيد من الأدبيات التاريخية التي تتناول الرقّ في الشرق الأوسط صدرت مؤخراً باللغة الإنكليزية (Lewis, 1992; Erdem, 1996; Seng, 1999; Le Gall, 1999). وقد ورد في دراسة أعدها مارمون (Marmon, 1999)، حول الأرقاء المنزليين في العصر المملوكي، أنه بالرغم من أن تقاليد الورع في الدين الإسلامي تحضّ المسلمين على معاملة العبيد بالحسنى، فإن وضع الرق كان يعني تحديداً «امتلاك جسد الشخص». من الوجهة الشكلية، كان ذلك يتضمن بداهة أن العبد يتمتع بحقوق كاملة، ولكن كان يجري التخفيف من زخم الفكرة من خلال المفهوم القائل إن العبيد، الذكور على الأقل، كانوا بشراً، ولكن في وضع تعطيل مؤقت إلى أن يتم تحريرهم من خلال آليات إعتاق متعدّدة. وبالنسبة إلى الجواري، كان وضع الرقّ يعني «حق السيد بالاتصال الجنسي اللامحدود، إضافة إلى حقوقه المطلقة على أبناء الجارية»، الذين يمكن إعتاقهم جميعاً في حال اعتراف السيد بأبوته لهم إذا نطق بجملة «فرجك حرٌ» (Marmon, 1999: 4-5). وكانت الجواري محظيات يتلقين، غالباً، تعليماً وتدريباً على ضروب التسلية، كالموسيقى والفنون وما شاكل. وغالباً ما تصوَّر هؤلاء النسوة في حكايات **ألف ليلة وليلة** (Burton, 1886) حيث تبدو المحظيات نساء لعوبات مخادعات وشبقات بطبعهن، وكثيراً ما يسعيْن إلى اكتساب النفوذ السياسي، وأنواع النفوذ الأخرى، عبر أسيادهن.

وفي حين يمكن إرجاع سبب جهل الناس بتفاصيل العلاقات الجنسية بين السادة

والخادمات في مجتمع البلاط الأوروبي، إلى الميل إلى حجب الجنس خلف جدران السرية، نجد أن موهبة التهكّم العابثة لدى جوناثان سويفت ((Jonathan Swift (1851) وكرهه للنساء كان لهما الفضل في دفعه إلى تأليف **إرشادات إلى الخادمات** *(Directions to Servants)*، حيث يقول إن الخادمة المنزلية تجد نفسها حاملاً، على الأرجح، من خادم، وإن وصيفة السيدة إذا كانت «مليحة الشكل» تتعرض، على الأرجح، لقيام السيد بالضغط على يدها أو بالعبث بصدرها أو بطلب معاشرتها جنسياً في نهاية المطاف (ويرى سويفت أن على الخادمة السعي إلى «جعل السيد يدفع» بما يتناسب ومطالبه). وفي الغالب، يكون عشيق الخادمة المسؤولة عن جناح النوم، الحوذي أو أحد الخدم، والأرجح أن يقوم كبير الخدم بـ «إغواء الخادمات بكأس من الخمر أو النبيذ الأبيض مع السكر» (Swift, 1851: 359). وفي أجواء «عائلة أرستقراطية»، يكون أمام الوصيفة: «خيار الانتقاء بين ثلاثة عشاق، قسيس القصر، ووكيل القصر، وابن السيد. ونصيحتي الأولى لك أن تختاري وكيل القصر؛ ولكن إذا تورطت بالحمل من السيد، عليك معاشرة قسيس القصر... وهنا ينبغي أن أحذّرك بشكل خاص من الابن الأكبر للسيد. إذا كنت على قدر كاف من البراعة، هناك احتمال أن تتمكني من دفعه إلى الزواج منك، لتصبحي سيدة؛ أما إذا كان مجرد رجل فاسق خليع... تجنبيه كما تتجنبي الشيطان... فبعد عشرة آلاف وعد، لن تحصلي سوى على بطن منتفخ أو على داء التعقيبة، والأغلب، على الاثنين معاً» (Swift, 1851: 366).

نجد هنا فكرة تتكرّر، وهي العلاقة بين الخدمة والجنس. فهناك من جهة العلاقة التي تربط أنثى بذكر تقوم بخدمته، بطريقة أو بأخرى، ضمن مجال يقرِّب بينهما ــ وغالباً ما تتطور علاقات جنسية في المجالات المحصورة، كمواقع العمل أو المزارع أو المطابخ أو المكاتب الرئاسية في البيت الأبيض. ويبدو أن التباينات في درجة القوة، التي قد تنشأ عنها علاقات جنسية قائمة على الاستغلال، كالعلاقات الناشئة بين أصحاب العمل والمستخدَمات، وبين المدرِّسين والطالبات، وبين المعالجين النفسيين والمريضات، وبين القساوسة ونساء أبرشياتهم، وبين السادة والجواري، بين رؤساء الجمهورية والمتدربات ــ بعبارة أخرى، حيث تتواجد علاقة قائمة على الثقة ــ أقول يبدو أن هذه التباينات تشكِّل جزءاً أساسياً من السلوك العاطفي الإنساني ((Game and Metcalf, 1996: 162) للاطلاع على فكرة الرغبة الجنسية لدى الطلاب المرتبطة بالرغبة في المعرفة).

ويرى بيتمان (Pateman, 1988) أن هناك فرقاً ضئيلاً في العلاقات التعاقدية، في الماضي أو في العصر الحالي، بين العبيد والموظفين وربات البيوت الذين «يعملون تحت إمرة أسيادهم» (Pateman, 1988: 116). ويُظهر مارمون (Marmon, 1999)، في تشابه لافت، كيف أن الزواج والرق، في العصر المملوكي، كانا ينطويان على: «ملْك من نوع ما. فالزوج يدفع للخطيبة، عن طريق ولي أمرها أو الوصي عليها، مبلغاً محدداً، وبالتالي يحصل على حق حصري بمعاشرتها جنسياً، وباعتبار نسلها أفراداً من المجموعة القرابية، وبحق ممارسة قدر لا بأس به من التحكّم بشخصها وبأفعالها. وقد وصف الفقهاء هذه الصفقة بأنها تؤدي إلى امتلاك العضو التناسلي للمرأة: فـ «النكاح هو عقد الهدف منه امتلاك حق المعاشرة الجنسية» (Marmon, 1999: 19).

ثمة رأي آخر يُبرز العلاقة بين القذارة والحياة العائلية. فانطلاقاً من كتاب ماري دوغلاس (Mary Douglas)، يقول بالمر (Palmer, 1989) إن العقل اللاواعي للطبقة الوسطى ينطوي، جزئياً، على وجود ترابط ما بين القذارة «الشريرة» والنظافة «الخيِّرة». ومن الطبيعي أن تنطبق تلك الفكرة على الحياة الجنسية أيضاً: «القذارة والجنس يعيشان في ترابط وثيق، والنساء اللواتي ينظفن الأشياء المرتبطة بالجسد، يجدن أنفسهن، وعلى نحو غامض، وقد أُسبغت عليهن صفة الجنس والقوة بغضّ النظر عن مركزهن الاجتماعي الفعلي» (Palmer, 1989: 138). ولكي تصبح ربة البيت المنتمية إلى الطبقة الوسطى «امرأة فاضلة»، فإنها تسعى إلى الحفاظ على صورة «الطهر الجنسي» و«الحياة العائلية النقية»، وتحوِّل «الشر داخل المرأة» إلى الخادمة التي تُستخدَم لأداء الأعمال المنزلية الوضيعة.

ثانياً: النشاط الجنسي المحظور وعائلات الطبقة الوسطى

تحمل العلاقة بين النشاط الجنسي والأعمال الشاقة الوضيعة طبقات عدة ضمن التمثلات الخاصة بالخادمات المنزليات، ليس فقط في العقل اللاواعي الغربي، بل إن ذلك يبدو واضحاً أيضاً في الوطن العربي. وتُلقي الملخصات الثلاثة التالية الضوء على فكرة النشاط الجنسي المحظور (الماكر والمقيت أخلاقياً والقذر)، وعلى العلاقات بين رجال ونساء الطبقة الوسطى، التي يتهدّدها وجود الخادمات المنزليات. الملخصّان **الأولان** هما قصتا فيلميْن مصريَّيْن معروفين جماهيرياً، والملخص **الثالث** مأخوذ من مجموعة قصصية بعنوان: **الخروج من بيروت**، بقلم مي غصوب (غصوب، ١٩٩٨)، وهي مجموعة تضم تصويراً مفعماً بالحياة لنساء يحاولن التكيّف مع عذابات الحرب الأهلية.

١ ـ الملخّص الأول

في الفيلم المصري «الخادمة» الذي أخرجه أشرف فهمي عام ١٩٨٣، وقامت ببطولته ناديا الجندي، تقتل الشابة فردوس زوجها المسنّ بعد أن ضبطها مع عشيقها. بعد ترمّلها، عُرض عليها عمل براتب مجزٍ كخادمة في منزل سيدة ثرية متوسطة العمر تعيش مع ابنها الوحيد، علاء، وهو شاب أعزب جذاب. في البداية، رفضت فردوس العمل بحجة أنه لا يليق بها، لكن عشيقها شجعها على قبول العمل قائلاً إن بوسعها جمع ثروة، فقبلت. سارت الأمور على ما يرام في البداية، إلى أن بدأت فردوس، بإيعاز من عشيقها بإغواء علاء، الشاب الغرّ. يعود علاء في إحدى الليالي خائباً بعد محاولته الأولى لإثبات رجولته مع مومس عجوز، فتحاول فردوس التسرية عنه قائلة إن بإمكانها «مساعدته»، لكن علاء يصدها بعجرفة. ويأتي رد فعل فردوس عدائياً: «لا تظن أن كوني خادمة يعني أنني جاهلة لا أعرف شيئاً... أنا جربت الدنيا وأعرف ما يحتاجه الصبيان أمثالك». تنجح محاولة الإغواء وتقوم بينهما علاقة حميمة. تكتشف أم علاء، وهي المهووسة بحماية ابنها، العلاقة وتطرد الخادمة. وفي حركة مضادة، تقنع فردوس علاء بالزواج منها، وتمكَّنت بذلك من العودة إلى المنزل بصفة «سيدة» لا خادمة، متحدية بذلك الأم. تبدأ فردوس، بموافقة زوجها الجديد،

بإدارة أعمال العائلة، وتقوم باختلاس النقود بالاشتراك مع المحاسب الذي تربطها به علاقة. وعندما يضبطها علاء في السرير مع المحاسب يطلّقها. ولا تجد فردوس أمامها خياراً سوى العودة إلى عشيقها السابق الذي يقتلها في ما بعد.

٢ ـ الملخص الثاني

فيلم «أفواه وأرانب» ــ من إخراج بركات، وبطولة فاتن حمامة ومحمود ياسين ــ يشبه فيلم «الخادمة»، لكن نعمة اللطيفة الودودة، بخلاف فردوس ذات الشخصية التآمرية، تنال حركيتها الطبقية من خلال أمانتها ومثابرتها وتفانيها، في قصة «على نموذج بيغماليون» (Pygmalion)[٢]. في مستهل الفيلم، نرى نعمة الشابة الريفية العزباء الجذابة، تصبح في ما بعد عاملة كادحة في مصنع تعيل شقيقتها، وهي أم لتسعة أطفال وزوجة لرجل سكير. ترفض نعمة الخاطب الأول الذي تقدم للزواج منها، لأنه لا يمتلك نقوداً كافية لإعالتها وإعالة أسرة شقيقتها. وترفض الخاطب الثاني رغم ثرائه لأنه لصّ فاسد الأخلاق. وعندما يعود الخاطب الأول وهو يحمل ثروة، يضيء وجه نعمة بالأمل في حياة مريحة. لكنها لدى اكتشافها سرقته للمال، ترفض الزواج به. وعندما تبدأ شقيقتها بالتآمر مع زوجها لتزويج نعمة بالخاطب الثري الفاسد الأخلاق، تهرب نعمة إلى القرية المجاورة، حيث تعمل في جني العنب في كرم واسع. وسرعان ما تُرَقَّع إلى خادمة منزلية في دار مالك العزبة، وهو شاب أعزب جذاب، وتنخرط نعمة شيئاً فشيئاً في إدارة العزبة، وتشرع باتخاذ المبادرات، واقتراح المشاريع الجديدة، ما يعني طبعاً اكتساب إعجاب السيد. وحين رافقت سيدها يوماً إلى القاهرة، أعلن عن عزمه الزواج بامرأة من الطبقة العليا. يُسحق قلب نعمة بين ضلوعها. وسرعان ما تحسّ الخطيبة بالشك إزاء نعمة، ويتبدى انزعاجها بوضوح لما تتمتع به نعمة من أهمية وفضل ومديح. تدفعها الغيرة إلى الطلب من خطيبها الاختيار بينها وبين نعمة. فاختار نعمة وعرض عليها الزواج. يخلص الفيلم إلى نهاية سعيدة، حيث يتزوج السيد بنعمة، وتستقر عائلتها مادياً بصورة نهائية.

٣ ـ الملخص الثالث

وهو ملخص قصة «بطولة أم علي»، في مجموعة **الخروج من بيروت: النساء والحروب الداخلية** بقلم مي غصوب (١٩٩٨). لطيفة، فتاة في التاسعة من عمرها، من شمال لبنان، أُحضرت إلى بيروت لتعمل خادمة لدى إحدى العائلات. وسرعان ما أصبحت كبش فداء للعائلة، ولا سيما لزوجة الأب أم وسيم وابنها. لا تنتهي لطيفة من خدمة المنزل من الفجر وحتى ساعات متأخرة من الليل. وهي في واقع الأمر مستعبَدة، فهي لا تنال أجرها، بل يأتي والدها السكير كل شهر لأخذ النقود، دون أن يطلب رؤيتها أو اصطحابها خارج المنزل. في إحدى الليالي، يعتدي وسيم على لطيفة في فراشها على أرض المطبخ (لم تكن لها غرفة مستقلة). سارعت العائلة طبعاً للتستر على «الحادث». فأُخذت الفتاة إلى

(٢) تتكرر الفكرة نفسها في العديد من الأفلام البريطانية والأمريكية، آخرها فيلم «A Maid in Manhattan».

عيادة لـ «استعادة» عذريتها. وتوحي القصة أن وسيم استمر في معاشرة لطيفة لمدة طويلة. وهو ما جعل الفتاة، إضافة إلى كونها خادمة، مصدراً جاهزاً للاكتفاء الجنسي لابن العائلة المدلل. في ما بعد اتهمت أم وسيم لطيفة بإغواء الابن في محاولة لكسب قلبه والزواج منه لكي تتمكن من الارتقاء عبر الطبقات الاجتماعية عن طريق الوصول إلى موارد العائلة. ورغم معاناة العائلة من أزمات مالية، فإن خشية أم وسيم من لطيفة إنما هي نموذج كلاسيكي للخوف من «الزواج من طبقة أدنى» باعتباره يمثل تهديداً لمركز العائلة وسمعتها، حتى ولو لم تكن هناك ثروة تستدعي القلق بشأنها. تبلغ لطيفة سن المراهقة في ذروة الحرب الأهلية. وتشعر بالإعجاب تجاه رجال المليشيات وتقرر الانضمام إلى صفوفهم. تخرج يوماً لشراء الخبز للعائلة ولا تعود. في ما بعد، تصبح لطيفة مقاتلة شجاعة مع المليشيات تحت اسم مستعار هو «أم علي» (أخت الرجال)، وتُثْبت أنها لا تقل عن المقاتلين الآخرين في ميدان المعركة.

وعلى نحو شبيه بالفيلميْن المذكورَيْن، تؤمِّن غصوب للخادمة لطيفة منفذاً من عبودية الأعمال المنزلية الشاقة، وتحوِّلها ــ من وضع الخنوع الذليل لخادمة طفلة إلى وضع امتلكت فيه إرادتها الحرة على أعتاب سنوات النضوج ــ من خلال وساطة إشكالية، وهو الحرب الأهلية. لكن الخادمة هنا، بدل أن تتزوج، كان عليها اللجوء إلى تبنّي الأساليب العنيفة للرجال بغية اكتساب الاحترام كامرأة، نظراً إلى وضعها، أي أن تخليص الخادمة من وضع الضحية عند المستوى المنزلي/العائلي، يتم هنا من خلال النضال المسلح عند المستوى الوطني.

ثالثاً: «قريبات هامشيات ودخيلات حميمات»

تثير القصص الثلاث السابقة، بما تحمل القصة الأولى من مأساة، والقصتان الأخريان من نهاية رومانسية، مسألتيْن عامتَيْن على الأقل: المسألة **الأولى**، تصوِّر هذه القصص التهديد أو «الخطر» الذي تحمله الخادمات باعتبارهن غريبات، أي حياتهن الجنسية والتهديد الذي تنطوي عليه هذه الحياة لعائلات الطبقة الوسطى. المسألة **الثانية**، الخادمات قد يكنَّ إما شخصيات محترمة أو شخصيات شريرة، وهذه مسألة صدفة بحتة. ويمكن أن نقول الشيء ذاته عن الأسر التي تعمل الخادمات لديها. فالفضاء الأسري والعائلي هو ميدان ينطوي على شحنة جنسية وعاطفية عالية.

في الملخص **الأول**، تبدو الخادمة شخصية شريرة متلاعبة تسعى إلى تحقيق مآربها الشخصية. في الملخص **الثاني**، تبدو الخادمة شخصية ملائكية، راقية، أخلاقية، دؤوبة، تتفانى بإخلاص في خدمة سيدها. في الملخص **الثالث**، تبدو الخادمة ضحية تم استغلالها منذ الطفولة، مع ذلك فهي تجد منفذاً غير مألوف للخلاص. لكن الملخصات الثلاثة تتضمن إمكانية حركية اجتماعية ــ الهروب من عالم العبودية، وخصوصاً في ملخصَيْ الفيلميْن، حيث تتزوج الخادمة أحد أفراد العائلة التي تعمل لديها. والسمة البارزة في تلك القصص هي أن العديد من الأفكار الواردة فيها تجد لها صدى في الحياة الواقعية. والواقع أن هناك العديد من الأدلة المستقاة من العمل الميداني تدعم تلك الأفكار المتكرّرة.

ثمة آليات عامة شاملة تتم اللجوء إليها للإبقاء على علاقات متميّزة للقوة والمكانة، ولا سيما بين «المدام» والخادمة، حيث يكمن التفاعل في أكثف تجلياته. فمنذ أن حلّت النساء المهاجرات من جنوب وغرب آسيا محل الخادمات العربيات (اعتباراً من تسعينيات القرن العشرين في لبنان، ومن الثمانينيات في دول الخليج)، دخلت المعادلة عناصر جديدة من الغموض والرهبة نتيجة جهل الأسر التي تعمل الخادمات لديها بثقافة تلك النساء، وبتاريخهن وعائلاتهن. قُدِّر عدد الخادمات المنزليات في لبنان، في شهر كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤، بـ ١٢٠,٠٠٠ سيريلانكية، و٣٠,٠٠٠ فيليبينية، و٣٠,٠٠٠ إثيوبية (Jureidini and Moukarbel, 2004).

الخادمات الآسيويات، إذاً، لسن مجرد «غريبات» في المنزل، بل هنَّ إلى جانب ذلك أجنبيات، أي أنهن مختلفات من حيث الإثنية والدين والشكل. بالتالي، ثمة صيرورة تثاقف تجري خلال عملية تلبية متطلبات العائلة العربية، ولا سيما متطلبات «المدام»، وهي متطلبات تحمل غالباً خصوصية معينة. لكن الموقع الرسمي للغريب، بالنسبة إلى سيميل، هو «وحدة القرب والبعد» في وقت واحد (Simmel, 1950: 402)، أي أن حضور الغريب هو حضور قريب وبعيد، مألوف ومجهول، في الوقت ذاته. والخادمة المنزلية، شأنها شأن الغريب، موجودة في موقع تنافرٍ دائم مستعصٍ. هذا التوتر المرافق للازدواجية المذكورة نجده حاضراً أبداً في العلاقات التي تربط بين المهاجر باعتباره الغريب، والمجتمع المضيف (Diken, 1998: 126). فالخادمة تنتمي إلى سكان المنزل (باعتبارها فرداً مأجوراً)، وهي تطَّلع على الشؤون الحميمة للعائلة، لكنها لا تنتمي إلى العائلة، وبالتالي لا يمكنها المشاركة في تلك الشؤون (رغم أنها قد تجد نفسها وقد أقحمت عنوة في الشؤون المذكورة). وترى غامبورد، في الدراسة التي أجرتها حول الخادمات السيريلانكيات العائدات إلى بلادهن من الأقطار العربية، رأياً مماثلاً، فهي تقول إن الخادمات المنزليات هن في وقت واحد «قريبات هامشيات وغريبات حميمات» (Gamburd, 2000: 228). فعلى رغم أن تلك الخادمات يعشن جنباً إلى جنب مع أفراد العائلة، ويطَّلعن على العلاقات الحميمة التي تربط بينهم ــ يرتبن المنزل، يغسلن ثياب أفراد العائلة، ينظفن، يعتنين بالأطفال وبالحيوانات المنزلية، يحضِّرن الطعام ويقدِّمنه، وإلى ما هنالك من أعمال ــ فهنّ يبقين مع ذلك مختلفات عنهم، ليس فقط من حيث المظهر، بل من حيث إقصائهن عن الفعاليات الشخصية اليومية للعائلة. فالخادمات، مثلاً، لا يتناولن الطعام، عادة، على الطاولة ذاتها أو في الوقت نفسه. كما أنه لا يمكن لهن (إلا نادراً) إحضار أصدقائهن «إلى المنزل»، بل ينتظرن قدوم خادمة أخرى بصحبة إحدى العائلات الزائرة لكي يمارسن الاختلاط الاجتماعي (في المطبخ)، أو يتواصلن مع الخادمات الأخريات عن طريق ما يُسمَّى بـ «أحاديث الشرفة». وتشير رولينز (Rollins, 1990)، مستشهدة بأفكار إيرفنغ غوفمان (Erving Goffman)، إلى أن إشعار الخادمة بالاختلاف وبمكانتها الأدنى يجري تأكيده من خلال مظاهر الإذعان اللغوية والجسدية والمكانية: استخدام تعبير «سيدتي» أو «سيدي» في المخاطبة، وعدم البدء بحديث لا ضرورة له، وتفادي لمس جسم صاحبة أو صاحب المنزل، والإبقاء على مسافة فاصلة ضمن الحيّز الجغرافي لأفراد العائلة.

واللافت هنا هو أنه على الرغم من كون المطبخ يمثل المقر الرئيسي للخادمة، فإن «المدام» في العائلات اللبنانية هي التي تقوم بالطهي فعلياً. وعادة ما يقتصر دور الخادمة على المساعدة في إعداد الطعام كتقطيع الخضار أو نقع الأرز. لكن الأجانب العاملين في لبنان، الذين يعتبرون استخدام خادمة منزلية ضرباً من الترف، غالباً ما يسمحون لهن بطهي الطعام دون إشراف. ولا يمكن تفسير معارضة اللبنانيين السماح للخادمة السيريلانكية أو الفيليبينية بالطهي لأفراد العائلة ــ ولرب العائلة على وجه الخصوص ــ بالمخاوف المرتبطة بالتلوث، أو بعدم كفاءة الخادمة، أو بالنظافة، أو حتى بزهو اللبنانيين بمطبخهم التقليدي. تتبنى هانسن (Hansen, 1989)، في دراسة أجرتها حول الخادمات والأسر التي يعملن لديها في زامبيا، رأياً مفاده أن الصورة السائدة حول الخادمات الريفيات في زامبيا هي أنهن «شهوانيات»، وأنهن يسعين للاستيلاء على أزواج ربات المنازل التي يعملن فيها. ولتفادي احتمالات إطلاق العنان للرغبة الجنسية، يتم حصر إمكانات الاحتكاك برب العائلة الذكر ضمن الحدّ الأدنى. وتضيف هانسن قائلة إن غرف النوم وإعداد الطعام هما مجالان يحملان «شحنة جنسية» خاصة. «تخشى ربات المنزل في زامبيا أن تقوم خادماتهن بمزج طعام الزوج بخلطات سحرية لإثارة رغبته الجنسية» (Hansen, 1989: 266). وبدل الحديث عن «الخلطات السحرية»، يمكن القول هنا إن الصبيان في العائلات العربية ينعمون بالدلال عندما يتعلق الأمر بالطعام. فحسب العادات المتبعة في دول حوض البحر الأبيض المتوسط، تقدِّم الأمهات (والشقيقات) اللبنانيات الطعام إلى أفراد العائلة الذكور، بحيث تتجلى محبتهن في أدق التفاصيل. إذاً، الشخص الذي يعدّ الطعام ويقدمه، كائناً من كان، يحرِّك غالباً مشاعر الذكور الذين يقدَّم لهم الطعام. ولا بد من أن الزوجات يرغبن في أن يكنَّ الطرف الذي تتوجه إليه مشاعر العرفان والحب التي يحركها الطعام.

بمقتضى وضع الغريبة، المرتبط بالخادمة المنزلية المقيمة، فإن وجودها يخلق مجالاً عاماً (مكان عمل الخادمة) في قلب الفضاء الخاص للمنزل. وهناك افتراض مؤداه أن وجود غرفة خاصة بالخادمة، يخفف من احتمال حدوث «توتر جنسي» بينها وبين أفراد العائلة الذكور. وإذا عدنا إلى قصة غصوب، نلاحظ التركيز على أن الاعتداء على لطيفة جرى على أرض المطبخ. أخبرتنا إحدى ربات المنازل في مقابلة أُجريت معها أن: «كونجيت [الخادمة السيريلانكية] كانت قد عملت في منزل أحد اللبنانيين لمدة ستة أشهر قبل أن تعمل لدينا. واكتشفنا (بصورة غير مباشرة) أنها تركت العمل في المنزل الأول لعدم وجود غرفة خاصة بها. كانت تنام على الشرفة، وكان للسيدة ابنان... كانت تخاف عليها»(٣).

ومن الطبيعي أن يحمل القرب وإمكانية الوصول بعداً مكانياً. فالافتراض هنا أن الخادمة ستكون «متوفرة» أكثر إذا نامت في المطبخ أو في غرفة الجلوس أو على الشرفة. أما

(٣) تنبغي الإشارة هنا إلى أن الأوصاف والشروح التي قُدِّمت في جميع المقابلات والمتعلقة بإساءة معاملة الخادمات، كانت تُعزى دائماً إلى «الآخرين»، وليس إلى من تُجرى معهم المقابلات.

إذا كانت لديها غرفة خاصة بها، فإن إمكانية الوصول إليها تصبح أكثر صعوبة. وتبيِّن المخططات المعمارية الحديثة أن بعض الأبنية الحديثة التي تضم شققاً، في لبنان، مصمّمة بحيث يكون المدخل إلى الأماكن المخصصة للخادمات من الشرفة حصراً. وتعكس هذه الرمزية المكانية رغبةً في زيادة فصل الخادمة عن العائلة. فوجود غريب في المنزل، يقتضي التزام الحذر الدائم. هذا العزل المكاني يحدّ من إمكانية نشوء علاقات حميمة. كما أنه يؤمن للخادمة خصوصية أكبر، ويقوم بدور منطقة عازلة ضد التطفّل.

وتتكرّر فكرة الإذعان والتمييز والفصل ضمن العائلة، في المواقف إزاء الأنشطة خارج المنزل، أي عندما تكون الخادمات خارج نطاق الإشراف المباشر للعائلة. فقد أوضحت إحدى السيدات، وهي في الرابعة والثلاثين، أنها لا تسمح لخادمتها السيريلانكية بالخروج من المنزل دون مرافقة. وأضافت أن موقفها هذا يأتي نتيجة صدمة من تجربة سابقة مع خادمة إثيوبية تبيَّن لدى وصولها أنها حامل رغم أنها لم تكن متزوجة: «لم نعلم ذلك في البداية لأن اختبارات الدم التي يجرونها للخادمات لا تتضمن تحليلاً لإثبات الحمل. كانت الفتاة تشكو من آلام مزمنة في معدتها. وكنت أعفيها من العمل حين تعاودها تلك الآلام. في أحد الأيام، اشتدت الآلام فاستدعينا طبيباً. أخبرَنا الطبيب أنها كانت حاملاً، وأنها على وشك وضع طفلة قبل الأوان. لم يكن مظهرها يدل على أنها كانت حاملاً. استشطتُ غضباً. كان علينا أن ندفع لها فاتورة المستشفى، وأن نعيدها إلى بلادها بعد أن دفعنا ثمن العقد للوكالة. لم نكن قد اشتركنا بتأمين صحي لها. طلبت الراهبات في المستشفى إعطاءهن الطفلة ليتبناها زوجان أفريقيان كانا يسعيان إلى تبني طفل. وهكذا أخذت الراهبات الطفلة ودفعن تكاليف الحاضنة. وكانت رغبتي الفورية هي طرد الخادمة لأنني لم أعد قادرة على الثقة بها. أخذت الخادمة إلى مركز الشرطة لفسخ العقد، لكنها قالت لرجال الشرطة إن زوجي هو والد الطفلة، وإنه يرفض إعطاءها إياها، وهكذا تم احتجاز زوجي للتحقيق معه. قلنا للشرطة إن الوضع كان مهزلة. فالخادمة لم تكن قد قضت معنا سوى خمسة أشهر ونصف، في حين أن عمر الطفلة كان سبعة أشهر ونصف. سأل زوجي رجال الشرطة: «مصالح مَنْ تحمون، مصالح الأجانب أم مصالح اللبنانيين؟». أسقطوا التهم وانتهت المسألة».

المشاعر هنا شبيهة بالمشاعر الواردة في دراسة أجراها سانجيك حول الخادمات المنزليات المحليات في غانا، حيث يبيّن سانجيك أن ممانعة الأسر التي تعمل لديها الخادمات لفكرة «اللقاءات الجنسية» تقوم على أساس الوقت الذي ينقضي في هذه العلاقات، والمخاوف من أن «تتراخى الخادمة في أداء واجباتها لانشغالها بالتفكير في صديقها» (Sanjek, 1990: 44). والأهم من ذلك أن الأسر تخشى إمكانية حمل الخادمة وما يستتبعه ذلك من مسؤوليات وتكاليف قد تجد الأسرة نفسها مُلْزَمة بتحمّلها. في لبنان، تندر الفرص المتاحة أمام الخادمات المنزليات للعثور على أصدقاء. فمن المعروف (بل المقبول أيضاً) أن معظم الخادمات المنزليات من المهاجرات لا يسمَح لهن بالخروج من المنزل دون مرافقة أحد من أفراد العائلة، بل إن بعض الأسر تلجأ إلى إقفال الشقق عليهن خلال غياب العائلة ليوم أو لليلة (Jureidini, 2002). وعندما سئلت إحدى السيدات اللبنانيات خلال المقابلة إن

كانت تسمح لخادمتها الفليبينية بالخروج بانتظام، كان رفضها واضحاً: «ربما وجدت لنفسها صديقاً لتعود إلى المنزل ناقلة إليه الأمراض، أو حاملاً، وهذا لا يناسبني إطلاقاً». تقول أندرسون (Anderson) في دراسة تقارن فيها بين الخادمات المنزليات المهاجرات في عصرنا الراهن، والجواري في عصر العبودية: «بخلاف أطفال الجواري... أطفال الخادمات المنزليات ليسوا ملكاً للعائلات التي يعملن فيها. فهؤلاء الأطفال لا يضيفون إلى رأسمال السيد، بل يفيدون فقط في تشتيت اهتمام الخادمة وصرْفه عن مسؤوليتها الأساسية، وهي العائلة التي تعمل لديها، وليس أطفالها. فالخادمات المنزليات المهاجرات، بخلاف الجواري، يجري ثنيهن صراحة عن إنجاب الأطفال... وبصورة عامة، تحرص الخادمات على عدم الحمل لأنهن سيفقدن بذلك عملهن. مع ذلك، فهن يَعينَ في حالات كثيرة أنهن يُضعن الفرصة لإنجاب طفل عن طريق استمرارهن في العمل كخادمات منزليات خلال سنوات الإنجاب الحرجة» (Anderson, 2000: 134).

أما مدى تجاوب الخادمات المنزليات في العلاقات الجنسية مع أفراد العائلة التي يعملن لديها، فهو أمر يصعب التحقق منه. فالإغواء قد يحدث من قِبَل أيٍّ من الطرفين، أو أنه قد يكون قسرياً. كما أن إقامة الخادمة لعلاقة جنسية مع الأولاد أو مع الزوج، أو مجرد العبث معهم، يمكن أن تكون تعبيراً عن عواطف صادقة، أو أسلوباً لتأكيد قدرتها على الإغواء لمنافسة «المدام» المهيمنة على المنزل.

وقد اعترف أحد المشاركين في المقابلات (وهو في الخمسين من عمره) أنه عندما كان مراهقاً في أواخر الستينيات، اعتاد تبادل المعلومات مع أصدقائه المقرّبين حول علاقاتهم الجنسية مع خادماتهم، بل التنافس معهم أيضاً في وصف هذه العلاقات (خادمات عربيات في ذلك الوقت). وحين سئل عن مدى تقبُّل الخادمة، أجاب أنها كانت راغبة تماماً في العلاقة ــ «كانت تستمتع بها». كما أشار إلى أن والدته كانت تصحب الخادمة إلى الطبيب على نحو منتظم لإجراء فحص لها والتأكد من أنها لا تقيم علاقة جنسية مع زوجها (ولكن كيف كان بإمكان الطبيب معرفة ذلك). وهناك رجل آخر (لبناني في الأربعينيات من عمره) أشار في إحدى المقابلات إلى أن بعض الأمهات والآباء كانوا في واقع الأمر يشجعون أولادهم على إقامة علاقات جنسية مع الخادمات لكي يدخلوا مرحلة الرجولة. يمكن إذاً النظر إلى العلاقة الجنسية مع الخادمات المنزليات بطريقتين متعارضتين، على الأقل: **الأولى**، اعتبار هذه العلاقة تهديداً لشرف العائلة وأخلاقياتها، و**الثانية** اعتبار العلاقة المذكورة عنصراً مساعداً في إثبات القدرة الجنسية الذكورية في العلاقة المتغايرة. ومن وجهة التحليل النفسي، قد يجدر بنا هنا التفكير ملياً ما إذا كانت الخادمة في هذه الحالة تمثل «بديلاً أوديبياً للأم».

هناك قصة يمكن اعتبارها حالة استثنائية لعائلة متحررة من جميع القيود، وهي قصة الخادمة الفيليبينية «بيني» التي كان قد مضى على وجودها في لبنان ثلاث سنوات عندما جاءت صديقة لها من القرية نفسها في الفيليبين. توسّلت «بيني» إلى عائلة أخرى في المبنى نفسه الذي تعمل فيه صديقتها «أونتي» لكي تستخدمها بحجة أن الأسرة التي تعمل لديها

تسيء معاملتها ولا تدفع لها أجرها. وفي أول ليلة من عملها لدى العائلة الجديدة (المؤلفة من زوجين متقاعدين يعيشان مع أولادهما الثلاثة في حي الأشرفية)، أعلنت «بيني» أنها لا تريد المبيت في الشقة، بل تفضل النوم في الطابق السفلي مع «أونتي». لم تمانع أي من العائلتين، فقد كان رأيهما أن من الأفضل أن تكون الخادمتان راضيتين، وأن تساعد إحداهما الأخرى عند الحاجة. لكن مظاهر القلق والاضطراب بدأت تبدو على «بيني» خلال الصيف التالي عندما انتقلت العائلة إلى منتجعها الجبلي ولم يعد بإمكانها رؤية صديقتها والاجتماع بها. بالتالي، اشترت العائلة الأخرى شقة في المبنى نفسه بحيث تظلّ الخادمتان سوياً. استمر هذا الوضع السعيد سبعة عشر عاماً. في أواخر عام ٢٠٠٣، قررت الفتاتان (اللتان كان القسيس قد باركهما لأنهما كانتا تقومان بتلاوة الإنجيل في القداس الأسبوعي) إنهاء علاقتهما المثلية والتحوّل إلى مجرد صديقتين حميمتين، بغية الالتزام بالتعاليم المسيحية. وعندما سُئلت الابنة البالغة خمسة وعشرين عاماً، التي كانت «بيني» قد أشرفت على تنشئتها، إن كانت تعتبر ذلك ترتيباً أفضل، أجابت: «كلا. نحن نفضّل أن تربطهما علاقة جنسية، فهذا يجعلهما أكثر سعادة».

ثمة فئة من الناس تفترض أن الخادمات المنزليات يجب أن يكنّ «متوفرات جنسياً»، إضافة إلى أعمالهن المنزلية. في أوروبا، تُستخدم إعلانات طلب خادمات منزليات أحياناً كبدائل لإعلانات طلب مومسات (Anderson, 2000). ولهذا لا يمكن للرجال العازبين في لبنان، أو في أي مكان آخر، كفالة خادمة منزلية أجنبية. فنحن نرى رجالاً لبنانيين، من كافة الأعمار، يتجولون بسياراتهم في أمسيات يومي السبت والأحد حول نادٍ ليلي صغير يقع في سن الفيل تتردّد عليه الخادمات الفيليبينيات. ويطوف هؤلاء في سياراتهم كالقطط بأمل إغواء إحداهن لركوب السيارة وقضاء وقت ممتع في ليلة إجازتها. يدير النادي الليلي لبناني وعشيقته الفيليبينية التي كان يقدمها على أنها زوجته مع أن الجميع كان يعرف أنه كان متزوجاً من سيدة لبنانية. وفي ما بعد تمّ اعتقال وترحيل المرأة الفيليبينية بتهمة القوادة.

وفي ما يتعلق بالبغاء، تلفتنا هنا قصة م. س.، وهو شاب لبناني خريج الجامعة الأميركية في بيروت يبلغ الثالثة والعشرين، وصديقته اللبنانية. فهما صديقان حميمان، ولكن لا تربطهما علاقة جنسية. يقول الشاب إنه يحبها كثيراً، وهي تعرف أنه يقيم علاقات جنسية مع نساء أخريات، ولكن، كما يقول م. س.: «إنها تدرك أن الأمر لا يتعدى العلاقة الجنسية». ويضيف أنه: «جرَّب كل أنواع النساء ــ اللبنانيات، الإثيوبيات، الفيليبينيات، السيريلانكيات، الروسيات ــ لكنه يفضِّل الإثيوبيات لأنهن الأرخص سعراً (١٠,٠٠٠ ــ ١٥,٠٠٠ ليرة لبنانية أو ٧ ــ ١٠ دولارات أمريكية)، إضافة إلى أنهن «ذوات خبرة». ورغم وجود خادمة إثيوبية في منزله، فإنه لم يحاول مطلقاً إقامة علاقة معها. فهو يتردّد إلى البارات لانتقاء الفتيات اللواتي يرغب فيهن. أما صديقه ب. ت.، وهو طالب في الجامعة الأمريكية في بيروت، يبلغ الرابعة والعشرين، فلديه أيضاً صديقة لبنانية منذ خمس سنوات. وهما أيضاً لا تربطهما علاقة جنسية. ويقول إنه يقيم علاقة جنسية مرة أو مرتين في

الأسبوع مع نساء إثيوبيات، وأحياناً مع أكثر من واحدة. وفي بعض الأحيان قد يتناوب عدة شبان على إقامة علاقة مع المرأة نفسها. ويضيف بحذر أن: «ذلك لا يحدث مطلقاً على رغم إرادتها، لأنها تتلقى أجرها من كل شاب». وبحسب رأيه، إن النساء الإثيوبيات معروفات بمهارتهن في العلاقة الجنسية، وهو يستمتع بالعلاقة أكثر معهن. ولا يمكن، بالطبع، الركون إلى أقوال كهذه، فالشباب معروفون بميلهم إلى التبجّح. لكن اللافت أننا نلاحظ وجود وصف لمغامرات جنسية مباحة مماثلة مع نساء إثيوبيات في مراكش في القرن التاسع عشر. فقد كانت المحظيات الإثيوبيات يوصفن بأنهن: «النعيم المقيم في الحر الهاجر والدرع الواقي من البرد القارس، لمستها تشفي العليل، وتشبع الشهوة، وتبدّد العلل الناتجة من البرد والرطوبة، وتُريح من أوجاع الظهر والمفاصل» (Ennaji, 1998: 34).

والمعروف أنه، بالإضافة إلى الإثيوبيات، قد تجد النساء السيريلانكيات، الهاربات من العائلات التي يعملن لديها، أنفسهن مضطرات إلى ممارسة البغاء لقاء مبالغ زهيدة، ويكون زبائنهن عادة من العمال السوريين والمصريين والهنود، وهن يتقاضين أجراً يكفيهن بالكاد لمدة أسبوع. لكننا نجد من ناحية أخرى أن بعض من قابلناهم يتحدثون عن نساء سيريلانكيات وإثيوبيات وفيليبينيات أكثر محافَظة من العائلات اللبنانية التي يعملن لديها. وغالباً ما تكون تلك النساء شديدات التديّن، وملتزمات بالصلاة وبالشعائر الدينية، عندما يستطعن ذلك.

في إحدى المقابلات، مثلاً، قالت إحدى المستخدِمات، وهي سيدة في الرابعة والثلاثين وأم لطفلين:

ــ س: هل تتمتع النساء في بلدك بحرية جنسية أكثر مما تتمتع النساء اللبنانيات؟

ــ ج: لا أعرف وضع النساء السيريلانكيات عموماً، لكن الفتيات اللواتي عملن في منزلي كن فعلياً أكثر محافَظة منا.

ــ س: هل تعتقدين أن الخادمة التي لديها زوج في وطنها قد تسعى، إذا أُتيحت لها الفرصة، إلى إقامة علاقة جنسية مع رجل آخر هنا في لبنان؟

ــ ج: هذا ممكن. إنهن نساء مثلي ومثلك.

ــ س: هل تفضلين خادمة متزوجة أم عازبة؟

ــ ج: كان لدينا دائماً خادمات متزوجات. وهذه صدفة. لكنني أفضل هذا الوضع لأنها إذا كانت عازبة فقد تسعى إلى أن يكون لديها صديق. لكنها إذا كانت متزوجة فهي على الأقل قد عرفت الجنس قبل أن تأتي، ولن تسعى غالباً إلى تجربته. لكنني لا أجد بين الخادمات، عموماً، ميلاً واضحاً إلى الجنس».

وتقول سيدة في الخامسة والسبعين، أم لستة أطفال: «في حالة مالا، أنا لم أقل لها أي شيء. أخبرتني مرة أنها كانت في زيارة إلى ابنة عمها، ثم عمها، ثم شقيقتها. في كل مرة باتت فيها خارج المنزل كانت عند شخص جديد، وكأن جميع أفراد عائلتها كانوا هنا. لم

أسألها مطلقاً إن كان في الأمر رجل، لأنها كانت متزوجة. وعلى أية حال، إذا أنكرتْ فلن يكون هناك فائدة. وإذا اعترفتْ، كنت سأضطر لإعادتها إلى موطنها».

تبرز من حين إلى آخر روايات تتحدث عن الاستغلال الجنسي للخادمات المنزليات دون رحمة وعن الاعتداء عليهن. وتبدو هذه الروايات أكثر عدداً في دول الخليج منها في لبنان، على رغم أن تكرار حوادث الاعتداء لا تمكن معرفته، لأن هذه الحوادث غالباً ما تمرّ دون أن يتم التبليغ عنها. فقد اكتشف مشروع حقوق المرأة التابع لمرصد الشرق الأوسط (١٩٩٢)، في الكويت، على سبيل المثال، أن «ثلث عدد الحالات التي جرى التحقيق بشأنها تضمّنت اعتداءً جنسياً من قبل أفراد العائلة التي تعمل لديها الخادمة». وتقول صبّان، في دراستها حول الخادمات المنزليات في الخليج: «معظم الشكاوى من الاستغلال الجنسي، التي تتقدم بها الخادمات المنزليات الأجنبيات، موجهة ضد رجال متقدمين في السن، إما في العربية السعودية أو في الإمارات... وتُعتبر هذه الظاهرة إحدى نتائج ازدهار الاقتصاديات النفطية... فهؤلاء الرجال المسنين وجدوا أنفسهم أغنياء على حين غرة، لكنهم محبَطين اجتماعياً، دون أي دور أو سبيل للاستمتاع. فأصبح مصدرهم الأول للمتعة هو النساء الفقيرات، اللواتي يمكن للعلاقة الجنسية معهن، وهي الأسهل والأرخص، إضافة إلى صغر سنهن، التخفيف من حدّة الإحباط الذي يشعر به هؤلاء» (Sabban, 2001: 33).

وإضافة إلى ما تقدم، فقد ورد في تقرير أُذيع من محطة «بي. بي. سي.» (BBC) (بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/٤) قصة الخادمة السيريلانية، سوما، التي عادت إلى بلادها بعد عملها كخادمة منزلية في لبنان. المقطع التالي يتضمن جزءاً من التقرير: «... تتذكر سوما، وهي في الواحدة والأربعين... كيف اعتدى عليها ابن السيدة، الذي يبلغ الثامنة عشرة، مراراً. قالت سوما: «عندما ذهبت إلى غرفة نومه، أغلق الباب ثم جردني من ثيابي وخلع ثيابه. وعندما حاولت المقاومة هدّدني بالقتل». تضيف سوما إنها رجته تركها وشأنها، فهي أم لشاب في سنه. ثم قالت وهي تبكي: «في أحد الأيام جاء أصدقاؤه إلى المنزل، وعندما حملت الشاي إلى الغرفة التي كانوا فيها، أغلقوا الباب، ثم أخذوا يضعوني على أحضانهم ويتلمسون جسدي». بعد ذلك اعتدى عليها جميع الشبان. لم يكن ردّ فعل ربة المنزل بأفضل لأنها، على ما يبدو، كانت تعتقد أنها استأجرت مومساً لابنها، لا مجرد خادمة لتنظيف المنزل: «اشتكيت لوالدته، فقالت لي «سوف أعطيك حبوباً للتأكد من عدم حملك، ثم ضربتني». في نهاية المطاف، هربت «سوما» من المنزل، وسارت على غير هدى لأربع ساعات إلى أن التقت بالصدفة بزوجَيْن سيريلانكيين أخذاها إلى منزلهما وأطعماها، ثم اصطحباها إلى السفارة. ورغم أنها روت للمسؤولين في السفارة وللشرطة كيف جرى الاعتداء عليها، وُضعت على متن طائرة أعادتها إلى وطنها. ولم يُحاسَب من قاموا بالاعتداء عليها.

يتضح من التقرير السابق أن الخادمة تُعامَل وكأنها شيء، وليس ككائن بشري. وتتضح هذه النزعة للتشييء (Objectification) في قصة المرأة الكونغولية «أسينا»، وهي تبلغ الثانية والعشرين، التي وجدت نفسها حاملاً بعد فترة وجيزة من قدومها إلى لبنان. وبما أنها كانت

تعاني متاعب صحية بسبب الحمل، لم تكن تستطيع أداء واجباتها كما ينبغي. أعادتها السيدة إلى المكتب الذي استقدمها، حيث ضُرِبت إلى أن كادت تشرف على الموت. وتقول «أسينا» إن المكتب، الذي كان يخشى أن يخسر تكاليف استقدامها إلى لبنان، أرغمها على إجراء إجهاض (Smith, 2004).

تنبغي الإشارة أخيراً إلى أن سمعة الخادمات العاملات في الأقطار العربية، بشكل خاص، يمكن أن تكون غير مشرِّفة في بلادهن. ففي عام ١٩٩٦، مثلاً، نُقل عن لسان الكولونيل نيسانكا ويغيراتني، الذي كان يرأس مكتب سيريلانكا للتوظيف الخارجي، ما يلي: «المشكلة الحقيقية هي أن ثمانين بالمئة من النساء في الكويت ينبغي عليهن مضاجعة أسيادهن. فهن يُعتبرَن مجرد جواري لممارسة الجنس» (Gamburd, 2000: 212). ويتبيّن من الدراسة التي قامت بها غامبورد حول الخادمات العائدات من دول الخليج، والتي تضمنت مقابلات أُجريت مع قرويين سيريلانكيين، كيف يلاحق الشك النساء السيريلانكيات اللواتي يعملن في الخارج. وهناك قصص عن «حالات حمل لم ترغب فيه النساء، وعن إجهاضات تجري في السر ومحاولات قتل أطفال رضَّع» (Gamburd, 2000: 219) يجري كشفها لإظهار المخاطر الصحية المترتبة عليها، لكن الحقيقة أن تلك القصص عادة ما تضفي طابعاً نمطياً على الشكوك المحيطة بأخلاقيات النساء وبعلاقاتهن الجنسية غير الشرعية. ويشرح رجل سيريلانكي الأمر بقوله: «النساء السيريلانكيات في الشرق الأوسط هن أشبه بالمومسات... أولاد المسلمين مولعون بالمغامرات النسائية، ولذلك تستأجر العائلة خادمتين ليظلّ الأولاد في البيت بدل الخروج إلى الشارع» (Gamburd, 2000: 219-220). ذلك هو التصور الذي يحمله الرجال السيريلانكيون، لكنه بعيد كل البعد عن القصص التي ترويها معظم النساء. عندما سُئلت إحدى السيدات اللواتي أُجريت معهن المقابلات: «هل تعتقدين أن الخادمات الأجنبيات يتمتعن بمعايير الشرف والحياء المطلوبة من النساء؟». كان جوابها: «نعم، إنهن محترمات. طلبتُ منها [الخادمة السيريلانكية] يوماً ألا تقترب من النافذة، لأن هناك رجال قد يرونها منها، فلم تعد إلى الاقتراب من النافذة. ورغم أنه (زوجي) رجل مسنّ ــ فهو يبلغ الخامسة والثمانين ــ فهي تتجنبه وتتفاداه».

خاتمة

لا سبيل للوصول إلى تعميمات بشأن الحياة الجنسية والسلوك الجنسي وعلاقات الخادمات المنزليات العاملات لدى الأسر اللبنانية. والأرجح، في واقع الأمر، أن معظم الخادمات المنزليات في لبنان ملتزمات بقيم الجدّ في العمل والفضيلة. فالهدف الرئيس من قدومهن إلى لبنان هو كسب النقود لإعالة عائلاتهن في الوطن. ويمكن القول أيضاً إن معظمهن يلاقين معاملة طيبة من العائلات التي يعملن لديها، كما تقابَل خدماتهن بالاحترام والامتنان. وتميل وسائل الإعلام وعلماء الاجتماع الراغبون في الإصلاح القانوني والاجتماعي إلى إبراز الحالات المتطرفة من الاستغلال وإساءة المعاملة. مع ذلك فإنهم يزوّدوننا ببعض المعلومات. لكن الواضح أن وجود الخادمات، كغريبات ضمن العائلة، يمكن

أن يكون مشحوناً بالمخاوف الجنسية وبالتوتر الجنسي. وفي برنامج تلفزيوني لبناني، أشارت المذيعة إلى أن وجود الخادمات الأجنبيات ضمن العائلات العربية هو «بكل بساطة أمر قابل للتطبيق»: «نحن نعيش ضمن نظام تسلطي (Authoritarian). المرأة هي ربة المنزل، وتديره بأسلوب متسلط. وهي مسؤولة عن الأطفال وعن الخادمة وعن كافة أمور المنزل. بالتالي، فهي تعامل الخادمة كما تعامل أطفالها. موقفها وقواعدها الأخلاقية هي ذاتها. أي أنها تُطبِّق على الخادمة المبادئ الأخلاقية نفسها المتعلقة بالقيود المفروضة على ابنتها. فلا يسمح للخادمة بالخروج وحدها لئلا تقيم علاقة مع رجل ما».

لكن الواقع يُظهر أن العديد من الخادمات «يُسمح لهن بالخروج»، وأن مرئيتهن (Visibility) في المجالين الخاص والعام في لبنان تتنامى دون توقف، بل إن شبكات المجتمعات المحلية (Community) التي تتطور على نحو ثابت تتحول إلى ما يشبه «الوطن» المؤقت. وعندما تتعاقد الأسر المستخدِمة مع العمالة المنزلية المهاجرة، أو «تستوردها»، فإن هذه الأسر غالباً ما يغيب عن بالها أنها تجلب إلى البلد ما هو أكثر من «عاملة». فالأمر هنا يتعلق بتشغيل كائنات بشرية، لها آمالها وأحلامها ورغباتها وحاجاتها الجنسية. وبالنسبة إلى بعض النساء على الأقل، يجري كبت الرغبات طوعاً أو قسراً، في حين تتدبر أخريات أمر تلبية تلك الرغبات بأفضل وجه ممكن. وقد تقوم أحياناً علاقات جنسية بين الخادمات وأفراد العائلة، وهناك خادمات يقمن علاقات مع رجال لبنانيين، أو مع رجال من موطنهن، أو من دول أخرى، كالهند ومصر أو سورية.

بعد انتهاء الحرب الأهلية في لبنان، سرى اعتقاد مفاده: «بالنظر إلى مدى الدمار الهائل الذي لحق بالدولة وبالمؤسسات والإدارات المدنية، أصبحت العائلة إحدى الصروح الاجتماعية القليلة الباقية التي يمكن فيها للناس العثور على الملاذ في الألفة والخصوصية الباعثَيْن على الطمأنينة» (Khalaf, 2003: 16). ويؤدي استخدام الخادمات المنزليات المهاجرات في لبنان حالياً إلى تعزيز الألفة والخصوصية الباعثَيْن على الطمأنينة، في العديد من الأسر أو في معظمها، وإلى تقويضهما في الوقت نفسه. فمن جهة، هناك شعور بـ «الإعجاب» بالنساء المهاجرات نظراً إلى قوتهن وشجاعتهن في السفر وحيدات إلى بلد كلبنان. ومن جهة أخرى، تلاحقهن «اللعنات» للسبب نفسه. فتلك النساء اللواتي خلَّفن وراءهن عائلات (أزواجاً وأطفالاً في غالب الأحيان)، يجري النظر إليهن من زاوية الشفقة (الحرام) ومن زاوية الاحتقار (كيف استطاعت القيام بذلك؟).

يمكن ربط الجهل بالخادمات المنزليات المهاجرات و«لامرئيتهن» الثقافية بجهل الأسر المستخدِمة بأصول الخادمات المنزليات اللواتي يعملن لديها، أو بالأحرى بعدم رغبتها بمعرفة تلك الأصول، سواء أكانت الخادمات من الفيليبين أو سيريلانكا أو إثيوبيا، لأن سلسلة النسب الطويلة تشير إلى «النفوذ وإلى مآثر الأقوياء. فليس لدى «الضعيف» سلاسل أنساب، وليست لديه جذور» (Khuri, 1997: 131). فالخادمات المنزليات الأجنبيات، دون الوجود القريب المرئي لعائلاتهن، مكشوفات أمام مخاوف واستيهامات وأفضال العائلات التي يعملن لديها. وفي حين يُفضَّل أن تظل الخادمات غير مرئيات، فإنهن يبقين مع ذلك

الموضوع السائد في الأحاديث الدائرة في المقاهي والمطاعم التي تتردّد إليها سيدات الطبقة الوسطى خلال النهار. لكن حياتهن الجنسية هي أمر أكثر ارتباطاً بالدرك الأسفل للمجتمع، وبالجانب القذر من الحياة العائلية.

واللافت هنا أنه بعد حلول الخادمات المنزليات المهاجرات الآسيويات والأفريقيات محل الخادمات العربيات في الأسر اللبنانية، تلاشت فكرة الخادمة باعتبارها تشكل تهديداً باغتصاب موقع الهيمنة في العائلة عن طريق الإغواء الجنسي. والأرجح أن الاختلاف في الثقافة والشكل يمنع نشوء علاقات تحمل طابع الالتزام. فزواج يتخطّى الطبقات والأديان في الوطن العربي يختلف اختلافاً كبيراً عن زواج يحاول تجاوز الحواجز العرقية والإثنية. وفي حين يشيع العبث مع الخادمات بين الرجال والشباب اللبنانيين، الذين يعتبرون هذه العلاقات أمراً طريفاً وغريباً، يظلّ احتمال زواج هؤلاء بالخادمات ضئيلاً جداً.

نلاحظ، إذاً، أن التصوّرات المتعلقة بالحياة الجنسية للخادمات المنزلية تختلف، ولكن تبقى أمامنا مهمة تحليلية وهي معرفة السبب الذي يدفع ببعضهم إلى تصوير الخادمات كضحايا، في حين يعتبرهم آخرون مخلوقات شهوانية، ويرى فيهم طرف ثالث كائنات بشرية طبيعية. التسامح والاستغلال يتخطيان الحدود الطبقية والدينية والمجندرة. ويرى سيميل أن المفتاح هنا يكمن في الفضاء الفريد المستبعَد، والمُدْمَج في الوقت نفسه، الذي يشغله غريب داخل المنزل، وفي الأساليب التي يتكيَّف بها الأفراد مع بيئتهم الأجنبية، والأساليب المختلفة التي تسلِّم بها العائلات المستخدِمة بالفاعلية الجنسية الفردية لهؤلاء الأفراد، أو تنكرها عليهم □

المراجع

بركات، هدى (٢٠٠١). **حارث المياه: رواية**. القاهرة: الجامعة الأمريكية في القاهرة.

بيطار، هيفاء (٢٠٠٢). «إندو Indou.» في: هيفاء بيطار. **ضجيج الجسد**. بيروت: دار النهار. ص ١٩١ ــ ٢٠٠.

غصوب، مي (١٩٩٨). «بطولة أم علي.» في: مي غصوب. **الخروج من بيروت: النساء والحروب الداخلية**. لندن: دار الساقي. ص ٦٠ ــ ٧٤.

مرصد الشرق الأوسط (١٩٩٢). «معاقبة الضحية: الاغتصاب واستغلال الخادمات الآسيويات في الكويت.» مشروع حقوق المرأة.

Anderson, Bridgit (2000). *Doing the Dirty Work: The Global Politics of Domestic Labour*. London; New York: Zed Books.

Awwad, Tawfiq Yusuf (1976). *Death in Beirut: A Novel*. Translated [from the Arabic] by Leslie McLoughlin. London: Heinemann. (Arab Authors; 5)

Burton, Richard (trans.) (1886). *The Arabian Nights' Entertainments*. London: H. S. Nichols and Co. 12 vols.

Diken, Bulent (1998). *Strangers, Ambivalence and Social Theory*. Aldershot; Brookfield, VT: Ashgate. (Research in Ethnic Relations Series)

Elias, Norbert. (1983). *The Court Society*. Translated by Edmund Jephcott. Oxford: Basil Blackwell.

Ennaji, Mohammed (1998). *Serving the Master: Slavery and Society in Nineteenth-century Morocco*. Translated by Seth Graebner. New York: St. Martin's Press.

Erdem, Y. Hakan (1996). *Slavery in the Ottoman Empire and its Demise, 1800-1909*. Oxford: Macmillan Press.

Foucault, Michel (1986). *The History of Sexuality*. New York: Vintage Books.

Vol. 3: *The Care of the Self*.

Le Gall, Michel (1999). «Translation of Louis Frank's Memoir on the Traffic in Negroes in Cairo and on the Illnesses to Which they are Subject upon Arrival there, 1802.» in: Shaun E. Marmon (ed.). *Slavery in the Islamic Middle East*. Princeton, NJ: Markus Wiener. pp. 69-88.

Gamburd, Michele Ruth (2000). *The Kitchen Spoon's Handle: Transnationalism and Sri Lanka's Migrant Housemaids*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Game, Ann and Andrew Metcalfe (1996). *Passionate Sociology*. London; Thousand Oaks, CA: Sage Publications.

Hansen, Karen Tranberg (1989). *Distant Companions: Servants and Employers in Zambia, 1900-1985*. Ithaca, NY: Cornell University Press. (Anthropology of Contemporary Issues)

Joseph, Suad (ed.) (1999). *Intimate Selving in Arab Families: Gender, Self, and Identity*. Syracuse, NY: Syracuse University Press. (Gender, Culture, and Politics in the Middle East)

Jureidini, Ray (2002). *Women Migrant Domestic Workers in Lebanon*. Geneva: International Labour Organization. (International Migration Papers; no. 48)

Jureidini, Ray and Nayla Moukarbel (2004). «Female Sri Lankan Domestic Labour in Lebanon: Contractual, Slavery-like Practices and Conditions.» *Journal of Ethnic and Migration Studies*: vol. 30, no. 4, July. pp. 581-607.

Khalaf, Samir (2003). «On Roots and Routes: The Reassertion of Primordial Loyalties.» in: Theodor Hanf and Nawaf Salam (eds.). *Lebanon in Limbo: Postwar Society and State in an Uncertain Regional Environment*. Baden-Baden: Nomos, pp. 107-142. (Studien zu Ethnizitat, Religion und Demokratie; Bd. 4)

Khater, Akram Fouad (2001). *Inventing Home: Emigration, Gender, and the Middle Class in Lebanon, 1870-1920*. Berkeley, CA: University of California Press.

Khuri, Fuad. (1997). «The Ascent to Top Office in Arab-Islamic Culture: A Challenge to Democracy.» in: Paul Salem (ed.). *Conflict Resolution in the Arab World: Selected Essays*. Beirut: American University of Beirut. pp. 121-139.

Lewis, Bernard (1992). *Race and Slavery in the Middle East: An Historical Inquiry*. New York: Oxford University Press.

Marmon, Shaun. (1999). «Domestic Slavery in the Mamluk Empire: A Preliminary Sketch.» in: Shaun E. Marmon (ed.). *Slavery in the Islamic Middle East*. Princeton, NJ: Markus Wiener. pp. 1-24.

Meldrum, Tim (2000). *Domestic Service and Gender, 1660-1750: Life and Work in the London Household*. London: Longman.

Myntti, Cynthia (1974). «Domestic Roles of Arab Women: Case Studies of Beirut Women Concerning Power, Status and Behavior.» (M. A. Thesis, American University of Beirut, Department of Sociology and Anthropology, June).

Palmer, Phyllis (1989). *Domesticity and Dirt: Housewives and Domestic Servants in the United States, 1920-1945*. Philadelphia: Temple University Press. (Women in the Political Economy)

Pateman, Carole (1988). *The Sexual Contract*. Oxford: Polity Press.

Rollins, Janet (1990). «Ideology and Servitude.» in: Roger Sanjek and Shellee Colen (eds.). *At Work in Homes: Household Workers in World Perspective*. Washington, DC: American Anthropological Association. pp. 74-88. (American Ethnological Society Monograph Series; no. 3)

Sabban, R. (2001). «Foreign Female Domestic Workers in the United Arab Emirates.» Paper presented at: The Workshop on Domestic Service and Mobility at the International Institute of Social History, Amsterdam, The Netherlands, 5-7 February.

Sanjek, Roger (1990). «Maid Servants and Market Women's Apprentices in Adabraka.» in: Roger Sanjek and Shellee Colen (eds.). *At Work in Homes: Household Workers in World Perspective*. Washington, DC: American Anthropological Association. pp. 35-62. (American Ethnological Society Monograph Series; no. 3)

Seng, Yvonne (1999). «A Liminal State: Slavery in Sixteenth-century Istanbul.» in: Shaun E. Marmon (ed.). *Slavery in the Islamic Middle East*. Princeton, NJ: Markus Wiener. pp. 25-42.

Simmel, Georg (1950). «The Stranger.» in: *The Sociology of Georg Simmel*. Translated, edited, and with an introd., by Kurt H. Wolff. New York: Free Press. pp. 402-408.

Smith, Monica. (2004). «Beaten, Forced to Abort Her Child, a Woman Fights Back.» *Daily Star*: 28/3. pp. 1 and 4.

Swift, Jonathan (1851). «Directions to the Housemaid.» in: Jonathan Swift. *The Works of Jonathan Swift*. London: Henry Bohn. pp. 352-369.

Vol. 2: *Directions to Servants*.